ألف حكاية وحكاية (١١٦)



السلاحف على شاطئ ميامى

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

تامر الشارونى

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

السلاحف على شاطئ ميامى

على شاطئِ " دايتونا بيتش " أهدأ مصايفِ ميامى بفلوريدا بأمريكا ، قضَيْتُ يومًا بالسيارةِ على رمالِ الشاطئِ ، الذى يمتدُّ حوالى ١٣ كيلومترًا . فالرمالُ توجَدُ لعدةِ أمتارٍ قليلةٍ فقط بجوارِ طريقِ الكورنيش ، أما بقيةُ الشاطئِ ، فالرمالُ فيه مُختلِطةٌ بالطينِ أو بالطَّفْلةِ ، فيسهلُ على السياراتِ السيرُ فوقَهُ . ثم تتراصُّ السياراتُ الواحدةُ بجوارِ الأخرى على الرمالِ ، وتجلسُ الأسرةُ بجانبِ السيارةِ أو فى ظلِّها .

لكن فى السادسةِ والنصفِ مساءً ، تأتى سياراتُ الشرطةِ بكثرةٍ ، لتُذيعَ أنه بعدَ السابعةِ ، ممنوعٌ وجودُ أيةِ سيارةٍ على الشاطئِ ، وإلا تعرَّضَ المُخالِفُ لغرامةٍ قد تصلُ إلى ٥٠٠ دولار (١٧٠٠ جنيه) .

وسألْتُ عن السببِ . ومن فتاةٍ مصريةٍ عمرُها عشرُ سنواتٍ ، سمعْتُ أعجبَ إجابةٍ .

قالت إن السلاحفَ المائيةَ تخرجُ من الماءِ بعدَ الغروبِ وأثناءَ الليلِ ، لتضعَ بيضَها على رمالِ الشاطئِ . وسيرُ السياراتِ على الشاطئِ بعدَ الغروبِ ، قد يتسبَّبُ فى قتلِ السلاحفِ .

وعندما تبيضُ السلحفاةُ ، فإن حُرَّاسَ الشاطئِ يُحيطونَ مكانَ البيضِ بسورٍ منخفضٍ ، ليحرصَ الناسُ والسياراتُ فى الأيامِ التاليةِ على عدمِ السيرِ فوقَها .

ومَنْ يعبثْ بحفرةِ بيضِ السلاحفِ ، أو يتسبَّبْ في موتِ أحدِ الصغارِ بعدَ الفقسِ وهي تتَّجهُ نحو الماءِ ، فالغرامةُ ١٠٠ دولارٍ عن كلِّ بيضةٍ أو سلحفاةٍ.

وبهذه الوسائلِ ، يحافظون على الأحياءِ النادرةِ من الانقراضِ.





قطرة ماء لأجل الشرب !!

تلفَّتَ الرجلُ حولَهُ ، فلما لم يجدْ مَنْ يراهُ ، وقفَ يصبُّ فى بالوعةِ ماءِ المطرِ ، بقايا الزيتِ أسودِ اللونِ ، الذى أفرغَهُ من خزانِ الزيتِ بسيارته

وفجأةً ارتفعَ صوتُ " سارينة " سيارةِ رجالِ الشرطةِ .

وبعدَ لحظاتٍ ، كانَ الرجلُ والوعاءُ الذى معَهُ ، داخلَ حجزِ السيارةِ ، فى الطريقِ إلى محكمةِ الجناياتِ .

لقد ارتكبَ جريمةَ تلويثِ مياهِ الأمطارِ ، التى تعتمدُ عليها مدينةُ نيويورك فى الشربِ والاستخدامِ المنزلىِّ ، بأنْ وضعَ فيها موادَّ ممنوعةً ، لخطورتِها الشديدةِ على الصحةِ العامةِ .

والغريبُ أن نيويورك تقعُ على مصبٍّ واحدٍ من أكبرِ وأهمِّ أنهارِ أمريكا ، هو نهرُ " هدسون " ، لكنَّ مُخلَّفاتِ المصانعِ الكثيرةِ على جانبَيْهِ ، والسفنَ التى تملأ صفحتَهُ ليلَ نهارَ ، جعلَتْ ماءَ هذا النهرِ الكبيرِ غيرَ صالحٍ للاستخدامِ الآدمِىِّ .

لذلك تعتمدُ هذه المدينةُ الكبيرةُ التى يسكنُها ثلاثةَ عشرَ مليونًا من البشرِ ، على تجميعِ ماءِ الأمطارِ ، الذى يصبُّ فى النهايةِ فى بحيراتٍ صناعيةٍ واسعةٍ ، يتمُّ تنقيةُ ما يتجمَّعُ بها من ماءٍ ، كما نقومُ فى مصرَ بتنقيةِ ماءِ النيلِ ، قبلَ أن يذهبَ فى الأنابيبِ إلى المنازلِ .

قلْتُ لنفسى : " فى أمريكا لديهم الأمطارُ الغزيرةُ ، التى يمكن أن تحلَّ محلَّ ماءِ الأنهارِ الذى لوَّثوه أشدَّ التلوثِ . أما نحن فى مصرَ ، فلا بديلَ لنا عن نهرِ النيلِ العظيمِ ، ولا حياةَ لنا بغيرِهِ . فكيف يسمحُ إنسانٌ لنفسِهِ أن يكونَ سببًا فى تلوُّثِه ؟! إن تلويثَ نهرِ النيلِ نوعٌ من الانتحارِ المؤكَّدِ ، الذى يُحرِّمُهُ الدينُ والقانونُ !! "

تعلموا كيف يفكرون

قالَتِ الأستاذةُ الدكتورة "كوثر كوجك" ، رئيسةُ مركزِ تطويرِ المناهجِ بوزارةِ التربيةِ :

أثناءَ وجودى فى الولاياتِ المتحدةِ ، زرْتُ فصلاً لأطفالٍ تتراوحُ أعمارُهم بينَ التاسعةِ والعاشرةِ . ودهشْتُ عندما وجدْتُهم قد أزاحوا المقاعدَ إلى جوارِ الحوائطِ ، وجلسوا على الأرضِ المفروشةِ بالسجادِ ، وقد انهمكَ كلُّ خمسةٍ منهم فى عملٍ مشتركٍ .

اقتربْتُ من إحدى المجموعاتِ ، فوجدْتُ طفلاً يقرأ على بقيةِ أفرادِ المجموعةِ قصةً من تأليفِهِ ، وطفلةً تُردِّدُ كلماتِ الثناءِ والتشجيعِ .

وبعد أن انتهَى الطفل من قراءةِ القصةِ ، قامَ طفلٌ ثالثٌ بإبداءِ رأيِهِ فى الشخصياتِ التى أعجبَتْهُ ، والمواقفِ التى أثارَتِ اهتمامَهُ .

ثم بدأ طفلٌ رابعٌ ، فاقترحَ للقصةِ عنوانًا آخرَ ، وخاتمةً جديدةً ، وبيَّنَ بعضَ مواقفِها غيرِ المعقولةِ .

أما الخامسُ ، فلخَّصَ كلَّ ما قيلَ .

وهكذا قامَ كلُّ طفلٍ بدورٍ مُحدَّدٍ .

ثم بدأ طفلٌ آخرُ يقرأ قصةً أخرى من تأليفِهِ . وتغيَّرَتِ الأدوارُ ، فمَنْ كانَتْ تمدحُ ، أصبحَتْ ناقدةً ، وهكذا .

وعندما انتهى كلٌّ واحدٍ من قراءةِ قصتِهِ ، كانَ كلُّ طفلٍ قد قامَ بجميعِ الأدوارِ.

قالَتِ الأستاذةُ الدكتورةُ : "وهكذا تَعلَّمَ الأطفالُ كيف يُعبِّرونَ عن أنفسِهم ، وكيف يكونُ تقييمُ العملِ الأدبِيِّ . وقبلَ كلِّ شيءٍ ، تَعلَّموا أدبَ الحوارِ ، وتقبُّلَ النقدِ . وهذه هي الأهدافُ الحقيقيةُ من التعلُّمِ : أن يتعلَّمَ الأطفالُ كيف يفكِّرونَ ويتصرَّفونَ ، وليسَ كيفَ يحفظونَ !!"



صغيرة بين السيارات

عندما التقَى السيدُ عمر عبد الآخر، الذى شغل منصب محافظ القاهرةِ، بالمُفكِّرينَ والأدباءِ، فى قاعةِ المؤتمراتِ بالمركزِ القومِىِّ لثقافةِ الطفلِ، فى حديثٍ مُهِمٍّ حولَ مستقبلِ ثقافةِ الطفلِ فى مصرَ، حكَى الحكايةَ التاليةَ :

قالَ إنه كانَ عائدًا ذاتَ ليلةٍ عندَ منتصفِ الليلِ من المطارِ، بعدَ توديعِ أحدِ كبارِ ضيوفِ مصرَ. وعند إحدى إشاراتِ المرورِ بطريقِ المطارِ، فوجِئَ بطفلةٍ صغيرةٍ، كانَ من الصعبِ رؤيتُها تتحرَّكُ بين السياراتِ، ترفعُ يدَها بالصحفِ تبيعُها للسائقين.



وانتابَتِ الدهشةُ محافظَ القاهرةِ لرؤيتِهِ طفلةً ، فى السادسةِ أو السابعةِ من عمرِها ، تقومُ بذلكَ العملِ ، فأوقفَ سيارتَهُ ، وسألَ الصغيرةَ : " ماذا تفعلينَ هنا فى منتصفِ الليلِ ؟ "

وفجأةً انشقَّتِ الظلمةُ عند جانبِ الطريقِ عن رجلٍ طويلٍ ، يبدو عليه المرضُ ، تقدَّمَ وهو يقولُ : " أنا والدُها " .

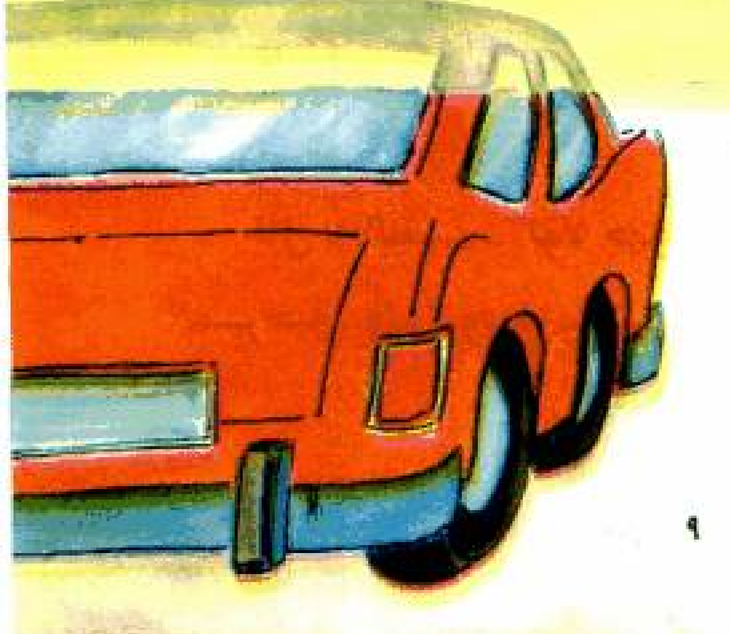
سألَهُ المحافظُ : " هذه الفتاةُ مكانُها الآنَ النَّوْمُ فى حضنِ أمِّها ، فلماذا تتركُها تجرى بينَ السياراتِ فى مثلِ هذا الوقتِ ، وفى مثلِ هذا المكانِ ؟ "

أجابَ الرجلُ بصوتٍ واضحٍ فيه الإرهاقُ : " أنا مريضٌ ، وعندى عشرةُ أطفالٍ .. ماذا أفعلُ ؟ "

قال المحافظُ : " هل تسألُ نفسَكَ هذا السؤالَ الآنَ ؟! كانَ يجبُ أن تسألَهُ قبلَ أن يكونَ عندكَ عشرةُ أطفالٍ "

وأضافَ محافظُ القاهرةِ : " إن الزحمةَ فى الحياةِ والبيتِ والمدرسةِ والشارعِ ، هى السببُ الرئيسىُّ فى معظمِ ما يشكو منه الأطفالُ فى مصرَ .







الوزير أمام الشباك

الدكتورُ محمد صلاح الدين ، وزيرُ خارجيةِ مِصرَ في فترةٍ ما قبلَ سنةِ ١٩٥٢ ، كانَ رحمَهُ اللهُ من أكثرِ رجالِ السياسةِ تقديرًا لدورِ الفنونِ وبخاصةِ المسرحُ ، في التربيةِ الوجدانيةِ والقوميةِ لجماهيرِ الشعبِ .

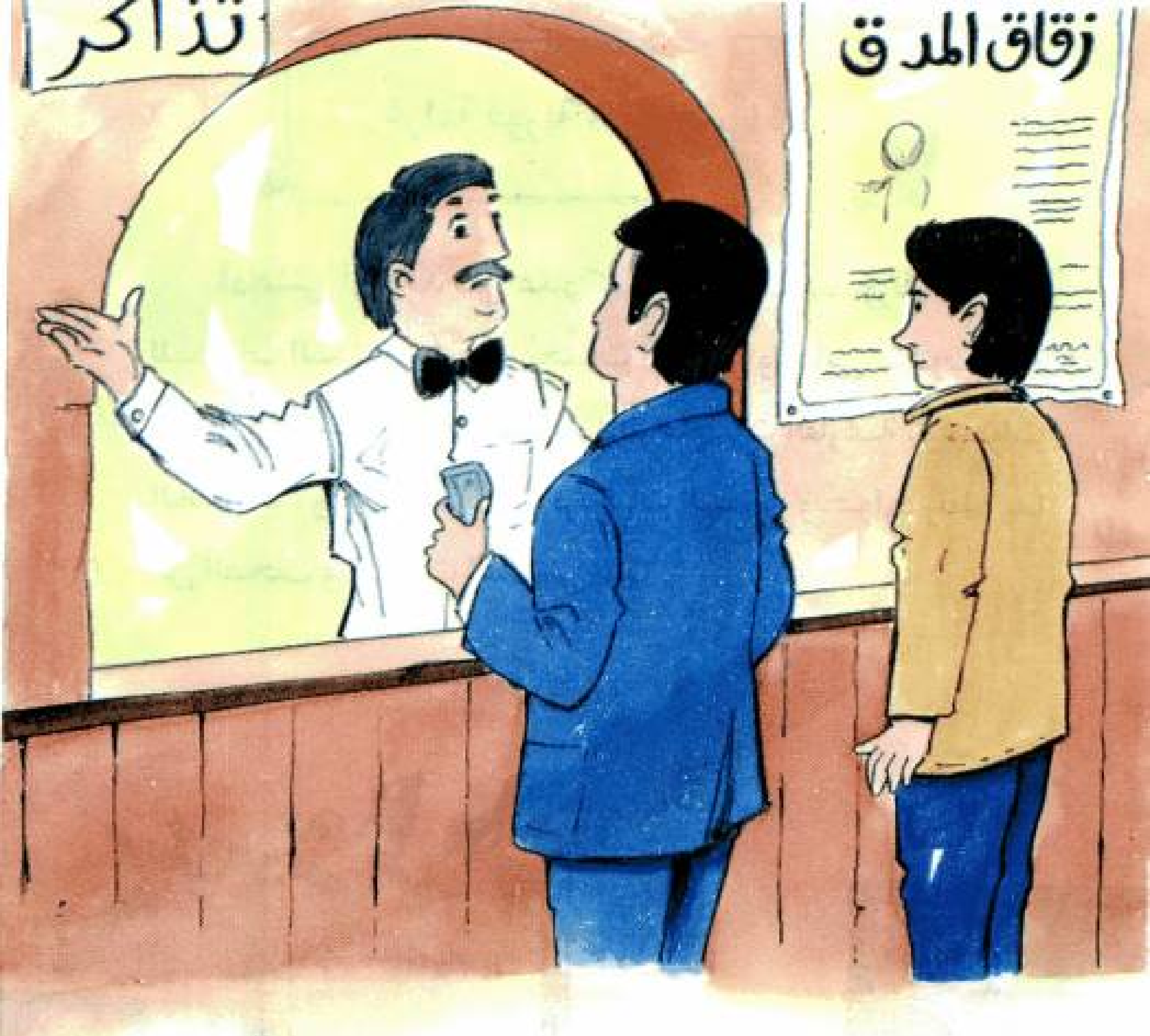
وقد حكى الفنّانُ زكريا سليمان ، الذى تولّى لفترةٍ طويلةٍ منصبَ نقيبِ المُمثّلينَ ، أنه أثناءَ تولّي الدكتورِ محمد صلاح الدين وزارةَ الخارجيةِ ، كانَتْ "فرقةُ المسرحِ الحرّ" تقدّمُ مسرحيةَ "زقاق المدق" ، المأخوذةَ عن الروايةِ المشهورةِ لكاتبِنا الكبيرِ نجيب محفوظ ، على مسرحِ معهد الموسيقى العربيةِ .

وفوجئَ النقيبُ ، ذاتَ مساءٍ ، بوزيرِ الخارجيةِ يقفُ بنفسِهِ أمامَ شباكِ التذاكرِ ، ليحصلَ على تذكرةٍ لحضورِ العرضِ .

وملأتِ الدهشةُ الفنانَ زكريا سليمان ، وأسرعَ إلى الوزيرِ قائلاً : "تفضَّلْ بالدخولِ ، فالمسرحُ كلُّهُ يرحِّبُ بكَ ."

قالَ الوزيرُ : "بل من الأفضلِ أن أرى مسرحيتَكم بتذكرةٍ أدفعُ قيمتَها .."

قالَ له النقيبُ : "لولا جهودُكم ، لأغلقوا المعهدَ العاليَ للفنونِ المسرحيةِ ..ولولا وقوفُكَ الدائمُ بجوارِنا ، لما استطعْنا أن نقدّمَ



أنجحَ المواسمِ المسرحيةِ لفرقةِ المسرحِ الحرِّ . وكانَ يكفى أن تُرسِلَ إلينا كلمةً ، لنحجزَ لكَ ما تشاءُ من مقاعدَ . "

ومع ذلك أصرَّ الوزيرُ المُثقَّفُ الفنانُ على دفعِ ثمنِ تذكرةِ الدخولِ ، كنوعٍ من التأكيدِ العمليِّ على تقديرِهِ للمسرحِ والفنِّ ، ولكلِّ الفنانينَ الذين يقدِّمونَ إبداعَهم الفنِّيَّ لجماهيرِ الشعبِ .



غرامة فورية ٣٣٨ جنيهًا !!

أدهشَنى أن أجدَ فى عددٍ كبيرٍ من بيوتِ نيويورك ، وعاءَيْنِ للمُخلَّفاتِ المنزليةِ : واحدٌ للمُخلَّفاتِ العاديةِ ، والثانى مكتوبٌ عليه "لإعادةِ التصنيعِ" ، يضعونَ فيه الزجاجاتِ الفارغةَ ، وعبواتِ البلاستيكِ ، وعُلَبَ التغليفِ ، وكرتوناتِ البيضِ ، وبجوارِهِ ربطةٌ بها كلُّ الصحفِ والمجلاتِ المُستغنَى عنها .

وقالوا لى إنهم إذا وضعوا شيئًا مما يجبُ وضعُهُ فى وعاءِ إعادةِ التصنيعِ ، فى الوعاءِ العادىِّ ، ستصلُهم فورًا غرامةٌ مقدارُها مائةُ دولارٍ (تساوى ٣٣٨ جنيهًا مصريًّا !!) .

ثم تأتى سياراتُ جمعِ القمامةِ ، فتجمعُ كلَّ نوعٍ فى سيارةٍ خاصةٍ .

وعرفْتُ أنهم بَدءوا فى تطبيقِ هذا القانونِ فى الأحياءِ المرتفعةِ المستوى ، انتظارًا لاقتناعِ بقيةِ الرأى العامِّ بفوائدِهِ ، قبلَ أن يُطبِّقوهُ فى بقيةِ الأحياءِ .

وعندما ذهبْتُ إلى العاصمةِ واشنطن ، وزرْتُ متحفَ "ثمسونيان" ،أكبرِ متاحفِ العاصمةِ ، تسلَّمْتُ مجانًا دليلَ المتحفِ ، وكانَ من ورقٍ مصقولٍ فاخرٍ ، فوجدْتُ مكتوبًا عليه هذه العبارةُ : "الورقُ الذى تمَّ طبعُ هذا الدليلِ عليه ، مصنوعٌ من الورقِ المُعادِ تصنيعُهُ" .

قلْتُ لنفسى : "إنهم يعاقبونَ بغرامةٍ كبيرةٍ مَنْ يخالفُ القانونَ ، لكنهم فى نفسِ الوقتِ ، يؤكّدونَ بالدليلِ الملموسِ ، أن هذا القانونَ له فوائدُهُ العمليةُ الممتازةُ . وبهذه الطريقةِ يقتنعُ الناسُ بإجراءاتِ "حمايةِ البيئةِ" . ويشتركون فى نجاحِها بحماسٍ وفهمٍ" .



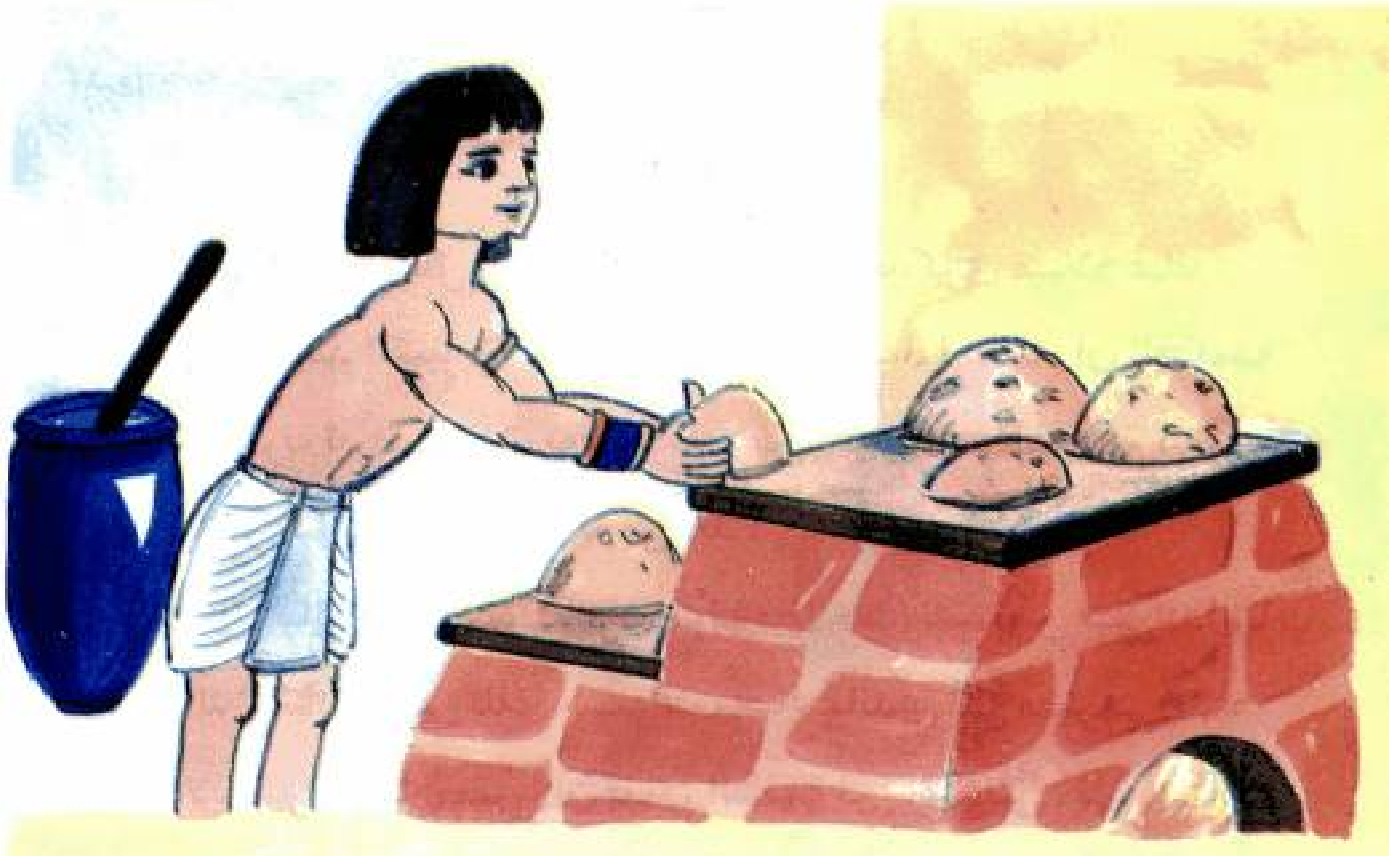
أول خبراء العالم فى صناعة الخبز

فى متحف المتروبوليتان العريق بنيويورك ، وفى قسمِ الآثارِ المصريةِ القديمةِ ، رأيْتُ نموذجًا مُجسَّمًا لمخبزٍ متكاملٍ . وتقولُ الحكايةُ ، إنه منذُ حوالى ٢٦٠٠ سنةٍ قبلَ الميلادِ ، كان هناك خادمٌ مصرىٌّ ، يقومُ بإعدادِ فطائرَ من الدقيقِ والعسلِ والماءِ لأسرةِ سيدِهِ .

وذاتَ مساءٍ ، بعد أن عجنَ الدقيقَ ، غلبَهُ النومُ ، وانطفأتْ نيرانُ الفرنِ قبلَ أن يضعَ فيه الفطائرَ .

وخلالَ الليلِ ، تَخمَّرَ العجينُ وارتفعَ سطحُهُ . وعندما استيقظَ الخادمُ ، كانَ حجمُ العجينِ قد أصبحَ ضِعْفَ ما كانَ عليه فى الليلةِ السابقةِ .





و أسرعَ الخادمُ يضعُ الفطائرَ في الفرنِ ، لكي لا يعرفَ أحدٌ من أهلِ البيتِ أنه أهملَ ونامَ قبل أن ينتهيَ من عملِهِ .

وعندما تمَّ خبزُ الخبزِ ، اكتشفَ الخادمُ ومعه كلُّ أفرادِ الأسرةِ ، أن مذاقَ الفطائرِ أصبحَ أفضلَ كثيرًا من مذاقِ الفطائرِ المستويةِ التي اعتادوا أن يتناولوها ، بل كانَتْ تتميَّزُ أيضًا بالليونةِ وكثرةِ المسامِّ .

لقد تعرَّضَ عجينُ الدقيقِ والماءِ وعسلِ النحلِ ، إلى بعضِ خلايا الخميرةِ التي يحملُها الهواءُ ، وهي نوعٌ من البكتريا المفيدةِ . وعندما تمَّ الاحتفاظُ بها دافئةً في العجينِ ، كان ذلك كافيًا لتنمُوَ وتنتشرَ ، فيتخمَّرُ العجينُ ، ويزدادُ حجمُهُ .

وتنبَّهَ علماءُ الكهنةِ لهذه الظاهرةِ ، فواصلوا التجاربَ لاستخدامِ الخميرةِ ، إلى أن أصبح المصريون أولَ مَنْ أتقنَ فنَّ صناعةِ الخبزِ في تاريخِ العالمِ .

بالدرجة الثالثة

فى احتفالِ المركزِ الثقافِيِّ الهندِيِّ بذكرى ميلادِ غاندى ، زعيمِ الهندِ الكبيرِ ، حكَى الأستاذُ محمد سيد أحمد ، أن الحكومةَ المصريةَ تعرَّضَتْ ذاتَ يومٍ لموقفٍ من أغربِ المواقفِ ، لم تتعرَّضْ له من قبلُ ، ولن تتعرَّضْ له من بعدُ .

قالَ إن والدَهُ كان مديرًا (محافظًا) للسويسِ فى بدايةِ الثلاثينياتِ . وفى تلك السنواتِ ، جاءَ غاندى إلى مصر فى طريقِهِ لإنجلترا . وكانَ مقرَّرًا أن يغادرَ السفينةَ فى السويس ، ثم يستأنفَ رحلتَهُ فى سفينةٍ أخرى من الإسكندريةِ . وكان المفروض أن يسافرَ من السويسِ إلى الإسكندريةِ بالقطارِ .

لكنَّ الحكومةَ المصريةَ وجدَتْ نفسَها أمامَ مشكلةٍ غريبةٍ ، فقد طلبَ غاندى أن يسافرَ بالدرجةِ الثالثةِ بالقطارِ ، كما يفعلُ عندَ سفرِهِ داخلَ الهندِ . والحكومةُ لم تكنْ مُستعِدَّةً لتنفيذِ هذا الطلبِ ، فهى لم تكنْ تتصوَّرُ أن عرباتِ الدرجةِ الثالثةِ بقطاراتِ مصر ، يُمكِنُ أن تصلحَ لسفرِ زعيمٍ عالميٍّ فى مستوى غاندى !!

لكنَّ الزعيمَ الهندِيَّ الكبيرَ أصرَّ ، واضطرَّتِ الحكومةُ المصريةُ أن تُهيِّئَ له السفرَ بالدرجةِ الثالثةِ ، بغيرِ أن يُعانِيَ ما يُعانيهِ رُكّابُ الدرجةِ الثالثةِ من أبناءِ مصرَ !!

وكانَتْ تلك حادثةً صغيرةً ، لكنَّ دلالتَها كانَتْ كبيرةً ، فهى تؤكِّدُ أن السلوكَ اليومِيَّ فى المسائلِ الصغيرةِ ، يؤكِّدُ الإيمانَ الصادقَ بالقيَمِ الكبيرةِ .